دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الخامس. ديسمبر ٢٠٠٨ (طبع في إبريل ٢٠٠٩م) (ص٨٥-١٠٨)

محاسن الإسلام وتوظيفها في مجال الدعوة الإسلامية

م.شاكر عالم شوق*

ملخص البحث: إن هذا البحث يتعلق بمحاسن الإسلام وتوظيفها في مجال الدعوة الإسلامية والتبليغ إليها.فالإسلام هو الدين الحق، وهو دستور الحياة الشامل ونظامها المتكامل، وهو الدين الذي اختاره الله لسعادة البشرية وفلاحها ونجاحها في الدنيا والآخرة، وهو دين كله محاسن وروائع، في نظامه الشخصي ونظامه الأسري ونظامه المجتمعي ونظامه المحلي والدولي ونظامه التشريعي ونظامه السياسي ونظامه الاقتصادي وغيرها من النظم والقوانين. فحاول الباحث – معتمدا على الله تعالى– إبراز وتوضيح تلك المحاسن الرائعة وكيفية توظيفها واستخدامها واستغلالها في مجال الدعوة الإسلامية وفي سبيل دعوة الناس إلى الإسلام مع التكيف والانسجام مع العصر والبيئة والظروف والأوضاع. وتناول الباحث تلك المحاسن في ثلاثة محاور. المحور الأول في بيان عناية الإسلام في الحفاظ على الضرورات الخمسة الأساسية لبني الإنسان. وفي المحورالثاني تناول النزعة الإنسانية المتوفرة في مبادئ الإسلام وقواعده وتشريعاته وغيرها، وفي المحور الثالث ذكر الباحث أقوال عدد من المستشرقين والمفكرين الغربيين الذين صرحوا واعترفوا – طوعا أو كرها– بحقية الإسلام وأفضليته وبحقية كتابه ونبيه وتعاليمه. ثم أورد الباحث كيفية توظيف واستخدام تلك المحاسن والروائع في مجال الدعوة والتبليغ. هكذا ختم بحثه متوكلا على الله تعالى وراجيا رحمته وكرمه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الذي أرسله الله تعالى إلى العالمين بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه و من اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

---

* الأستاذ المساعد ورئيس قسم الدعوة والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش

أما بعد. فقد قال الله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) صدق الله العظيم.(النحل١٦: ١٢٥)

الدعوة والتبليغ مهمة الأنبياء والرسل والعلماء

إن الإسلام هو الدين الذي اختاره الله تعالى لعباده فقال: (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران ٣: ١٩) وهو نظام الحياة المتكامل وهو دستور البشرية جمعاء. شرعه الله تعالى لعباده وبعث به رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم – ونزل إليه وحيه بواسطة جبريل – عليه السلام– وهو القرآن الكريم. المصدر الأول للشريعة الإسلامية (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).(النجم٥٣: ٤٣) وكان من مهام الرسول الأساسية هى الدعوة والتبليغ. فقد أمره تعالى به. و وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تشير إلى ذلك. كما قال تعالى: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)(المائدة٥: ٦٧) وقال: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (النحل١٦: ٤٤) وقال تعالى: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين) (الحجرات١٥: ٩٤) وقال: (وأنذر عشيرتك الأقربين).(الشعراء٢٦: ٢١٤) وقد قام الرسول – صلى الله عليه وسلم– بهذه المهمة الجليلة خير قيام. وأدي هذه الرسالة السامية على أتم ما يرام. فبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة. ثم حمل هذه الأمانة على أمته من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم من العلماء والدعاة والمفكرين بإحسان إلى يوم الدين بقوله :(بلغوا عني ولو آية)[1] وقوله: (فليبلغ الشاهد الغائب)[2] وقوله:(العلماء ورثة الأنبياء . وإنهم لم يورثوا دينارا ولا درهما. وإنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر).[3]

فمهمة الدعوة والتبليغ مهمة العلماء والدعاة والمفكرين في العصر الراهن . فهي مهمة صعبة وجد شاقة . فلا بد علينا من أن نقوم بهذا الدور بوعي وحذر وبعلم وبصيرة . وأن نودي هذه الرسالة كما أمرنا بها الله و رسوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (يوسف١٢: ١٠٨) . (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين).(فصلت٤١: ٣٣)

فالدعوة الإسلامية لها وسائل متعددة وطرق متنوعة والتي تناسب كل عصر ومصر، قال الله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).(النحل١٦: ١٢٥) فعلى الدعاة في هذا العصر – عصر العلوم والتقنيات و عصر غزو الفضاء والذرات – أن يتسلحوا بسلاح العلم والمعرفة . وأن يتخذوا كل الوسائل الحديثة المتطورة كوسائل الإعلام العصرية الحديثة من إنترنت و تلفاز وراديو واتصالات سلكية ولا سلكية لتبليغ الدعوة ونشرها بين أبناء العالم كلهم ، كما يجب عليهم تبليغ محاسن الإسلام وإبرازها أمام المدعوين من غير المسلمين .

خصائص الإسلام وميزاته

لاشك في أن الإسلام دين كله محاسن. وهو عقيدة وعمل. وهو دين ودنيا. وهودين يجمع بين الروح والجسد . ويهتم بالجانب المعنوي والجانب المادي معا. هذا هو الدين الذي أنزله الله تعالى لإسعاد البشرية كلها، ولأمنها وسلامتها، ولإنقاذها من هاوية الضلال إلى قمة الهدى، ولإخراجها من الظلمات إلى النور(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور). (البقرة٢: ٢٥٧)

وإن الإسلام هو الدين الذي اصطفاه الله واختاره. وهو دين لا يوازيه أي دين آخر. وهو الذي يمتاز عن الأديان الأخرى بخصائص ومميزات، وله من الصفات مالا يوجد في ديانة أخرى غيره، ومن هذه الخصائص والميزات :

١- أن الإسلام يعتمد على عقيدة التوحيد الخالص. فهو يقرر وحدانية الخالق – تبارك وتعالى– وتنزيهه عن المشابهة لما عداه. (فاعلم أنه لا إله إلا الله)(محمد٤٧: ١٩). (ليس كمثله شيئ) (الشورى٤٢: ١١) ولا شريك له في حكمه وملكه. هو وحده الذي يعبد، وهو وحده الذي يقصد (إياك نعبد وإياك نستعين)(الفاتحة١: ٤) وهو الذي يعز ويذل ويمنح، وما من شيء في السماوات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفي متناول قبضته، (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) .(آل عمران٣: ٢٦) وهذه العقيدة تمتاز بالوضوح واليسر والبعد عن الغموض والتعقيد.[٤]

٢- وتكتمل عقيدة التوحيد في الإسلام بالإيمان برسالة السماء إلى الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم- أولا، ثم الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى قبله. (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)(البقرة٢ : ٢٨٥) رغم أن الأديان الأخرى لا تعترف بالإسلام.[٥]

٣- أن الإسلام يكفل حرية الاعتقاد، فالفرد حر فيما يؤمن به و يعتقده، ولا يكرهه أحد.[٦] (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(الكهف ١٨ : ٢٩) (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)(البقرة٢ : ٢٥٦)

٤- أن الإسلام يهتم بالعقل ويحتكم إليه، وذلك حتى يتدبر الإنسان ويتأمل ويتفكر ثم يحكم.[٧] (اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا الآيات لعلكم تعقلون) (الحديد ٥٧ : ١٧)، (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)(آل عمران٣ : ١١٨)، (إن في ذلك لعبرة لاولى الأبصار). (آل عمران٣ : ١٣)

٥- أن الإسلام يدعو إلى العلم ويحث عليه، والازدياد منه ، (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)(الزمر٣٩ : ٩)، (وقل ربي زدني علما)(طه ٢٠ : ١١٤) كما يدعو إلى القراءة والمعرفة.[٨] فأول اتصال السماء بالأرض بقوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم).(العلق٩٦ : ٥١)

٦- يبتعد الإسلام عن النظم الكهنوتية القائمة على الوساطة المزعومة بين الله وعباده: فصلة المسلم بربه صلة مباشرة لاتتوقف على وسيط.[٩] (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)(غافر٤٠ : ٦٠)، (وإذا سألك عبادي

عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).(البقرة٢ : ١٨٦)

٧- أن الإسلام دعوة عالمية فهي لاتختص بشعب دون آخر، ولاتحدد بزمان أو مكان، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(الأنبياء٢١ : ١٠٧) فهي للبشرية كافة لعربيها وأعجميها وأحمرها وأسودها.[١٠] (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)(الأعراف٧ : ١٥٨)، (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).(آل عمران٣ : ١١٠)

٨- أن الإسلام ينادي بالأخوة والمساواة بين البشر، وهو دين إنسانية النزعة والهدف، ويدعو إلى كرامة الإنسان.[١١] (إنما المؤمنون إخوة) (الحجرات٤٩ : ١٠)، (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(الإسراء١٧ : ٧٠)، (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير).(الحجرات٤٩ : ١٣)

٩- أن الإسلام دين العدل والسلام، فهو الانقياد والخضوع التام لله تعالى بالقلب واللسان والبدن، وهذا يورث في الإنسان خشوعا لله تعالى من ناحية، وسلاما مع خلق الله من ناحية أخرى.[١٢] (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)(البقرة٢ : ٢٠٨) ,(والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)(يونس١٠ : ٢٥)، (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم).(الأنفال٨ : ٦١)

١٠- أن الإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق،فهو يجمع بين هذه الجوانب كلها. ولا يترك جانبا على حساب آخر.[١٣] (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا

السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم). (فصلت٤١: ٣٤٣٣)

١١- أن الإسلام يدعو إلى المواءمة والتنسيق بين أمور الدين والدنيا وبين المادة والروح مع التوسط والاعتدال وعدم الإفراط والتفريط. وهو دين الفطرة.[١٤] (فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله.)

(البقرة ٢: ١٣٨) ،(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) (القصص ٢٨: ٧٧) ،(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)(البقرة ٢: ١٤٣)، (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)(البقرة ٢: ٢٠١)، (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين)(الأعراف٧: ٣١)، (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). (الأنعام٢: ١٤٢)

١٢- أن الإسلام دين السماحة والعفو. ولا يوازيه أي دين أو حزب أو فريق في هذا الجانب، وقد اعترف به المؤرخون القدماء والمحدثون حتى غير المسلمين.[١٥]

١٣- أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام وهو كتاب المسلمين ودستورهم ظل محفوظا عن التحريف والتبديل وجمع في الصدور والسطور منذ نزل على قلب الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- حتى الآن ويبقى كذلك إلى يوم القيامة، وقد تكفل به ربنا سبحانه وتعالى قائلا: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). (الحجر١٥: ٩)

خيرية الأمة الإسلامية

لا مراء في أن الأمة الإسلامية هي خير أمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). (آل عمران ٣: ١١٠) فخيرية الدين وخيرية الأمة في كل شيء

وفي كل الجوانب وفي كل النواحي، من حيث العقيدة والإيمان، ومن حيث العبادة والعمل، ومن حيث النظم والقوانين والتشريع، ومن حيث الأخلاق والسلوك ومن حيث الهدف والغاية وغيرها. [١٦]

فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وسير العظماء من الصحابة والتابعين والكتب الإسلامية وكتب التاريخ حافلة بمحاسن الإسلام ومليئة بالمواقف الرائعة وزاخرة بالحوادث والأدوار المحيرة التي كانت تطبيقا عمليا و تنفيذا واقعيا للمبادئ والقيم والمثل العليا التي جاء بها الإسلام. فالإسلام ليس نظريات بل هو دين عملي وواقعي. و نكتفي بذكر بعض من تلك المواقف إن شاء الله تعالى، وذلك في ثلاثة محاور كما يلي:

المحورالأول : الحفاظ على الضرورات الخمس

تحقيقا للسعادة والسلام للبشرية كافة اتجه الإسلام بتعاليمه إلى إشباع حاجات الروح وحاجات الجسد معا، فخالف الماديين الذين يتوجهون إلى نيل أكبر قسط من المادة مع إغفال كثير من المعاني الإنسانية، كما خالف الروحانيين الذين ينادون بقتل النفس بالزهد والحرمان.قال الشاطبي: "إن الضرورات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل. وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة. وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين." [١٧]

ومن هنا فإن الإسلام يرى أن المادة بكل أنواعها هي خادمة للروح، فلا بد من وجود المادة مع الروح. فمن أجل تحقيق السعادة ونشر السلام يوفر الإسلام للجسد والروح معا مطالبهما، ويحافظ على الضرورات اللازمة لهما.وإن ضرورات الجسد والروح معا هي الخمسة المذكورة آنفا، وهي جميعا مترابطة يكمل بعضها بعضا، لأن النفس لو هلكت لانعدم من يتدين، ولو انعدم العقل لارتفع التكليف، ولو انعدم النسل لانقطع الجنس البشري، ولو انعدم المال لم تبق حياة. وهذه الأمور الخمسة هي الضرورات التي تتعلق بها مصالح الدنيا والآخرة ، وبالمحافظة عليها تتحقق السعادة للبشرية جمعاء وينتشر السلام في العالم. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي اهتم بهذه الضرورات الخمسة وحافظ عليها في أتم صورة ، وبيان ذلك ما يلي:

١- **حفظ الدين** : إن الدين فطرة إنسانية وغريزة طبيعية عامة تجعل الإنسان يشعر دائما بقوة غيبية من حوله. وإن الناس منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا يتوجهون بقصد أو دونه خاصة حين يقعون في المصائب أو المشاكل إلى قوة غيبية عليا. فالدين ضرورة روحية، وقد حافظ عليه الإسلام بأربعة وجوه. وهي:

(أ) **التكاليف المفروضة** : فالدين الإسلامي عبارة عن العقائد والعبادات والأعمال والأوامر والنواهي، والمسلم إذا نفذ تعاليم دينه من عقيدة وغيرها بقي دينه محفوظا قويا.[١٨] قال الله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (العصر١٠٣ : ٣١).

(ب) **الدعوة إلى الدين**: شرع الله- تعالى- أن تستمر الدعوة إلى دينه من دون توقف، وفرض على الأمة المسلمة أن تبلغ الدعوة لأفراده وللأمم الأخرى.[١٩] فقال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون.)(آل عمران٣ : ١٠٤)

(ج) **حماية الدين من المعاندين**: بعد تمام الدين وكماله قضى الله تعالى بحماية هذا الدين ودعاته من المعارضين المعاندين الذين يبغون هدم الإسلام وإزالته. وعلى هذا تدور فلسفة الجهاد في الإسلام.[٢٠] والله تعالى شرع الجهاد لهذا الغرض. قال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)(الحج٢٢ : ٣٩). (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير). (الأنفال٨ : ٣٩)

(د) **حماية الدين من الغلو والانحراف**: قد يأتي الانحراف في الدين بسبب الغلو فيه، فالإسلام نهى عن كل مظاهر الغلو سواء كانت في العقيدة أو العبادات أو المعاملات أو الاحترام أوغيره.[٢١] قال تعالى: (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)(النساء٤ : ١٧١). (تلك حدود

الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)(البقرة ٢ : ٢٢٩)، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).(الحجرات٤٩ : ١٣)

٢- **حفظ النفس** : لاشك أن الحياة منحة عظيمة من الله تعالى للأحياء وهو سبحانه معطيها وآخذها حين يريد . وأن المحافظة عليها ضرورة من أجل الإنسان نفسه، فبها يعيش ويعمل ويفكر ، وبدونه يكون العدم والفناء. وقد وضع الإسلام أحكاما وضوابط لحفظ حياة النفس، وهي أربعة :

(أ) **حماية النفس من الأمراض**: إن الوقاية خير من العلاج. فالإسلام لا يترك الإنسان فريسة المرض ثم يعالجه، فقد وضع الإسلام أسس الطب الوقائي حيث اهتم بالنظافة مطلقا، فأمر بالوضوء والغسل والسواك وغيره. كما نهي عن الأعمال التي تساعد على انتشار المرض مثل أكل الميتة والدم ولحم الخنازير وشرب الخمر وغيره وأمر كذلك بالبعد عن المرض ومظانه. [٢٢] قال الرسول – صلى الله عليه وسلم– (الطهور شطر الإيمان.)[٢٣] ،(إن الله نظيف يحب النظافة.)[٢٤] قال تعالى(يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (المائدة٥ : ٩٠) وقال تعالى: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)(الإسراء١٧ : ٣٢)

(ب) **حماية النفس من الاعتداء**: إن الإسلام قد وضع كثيرا من أحكامه لمنع الاعتداء على النفس أيا كان مصدره. فنهى أن يقتل المرء نفسه. قال تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)(النساء٤ : ٢٩) كما نهى الله عن قتل النفس بغير حق.[٢٥] قال تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)(النساء٤ : ٩٣) وقال (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) (البقرة٢ : ١٧٨).

(ج) **حماية النفس من مشقة التكاليف**: إن التكاليف الشرعية قد وضعت رعاية لمصالح العباد وضمانا لسعادتهم في الدنيا والآخرة، إلا أن هذه التكاليف قد تصاحبها ظروف معينة تجعلها لاتنتج إلا الضرر للمكلف إن هو

فعلها. وهنا نجد الإسلام يسقط هذه التكاليف بالكلية أو يستبدلها بغيرها محافظة منه على سلامة حياة المكلف. فمثلا يسقط الوضوء ويشرع التيمم عند وجود الماء في مكان مخيف أو يضر استعمال الماء بالصحة أو يؤخر الشفاء. وكذلك الصوم والصلاة وغيرها من العبادات .[٢٦] قال تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج).(الحج٢٢ : ٧٨)

(د) **حماية النفس بالتكاليف** : إن التكاليف الإسلامية جميعا إما لجلب المنفعة أو لدفع المضرة عن المكلف. فالناظر في كثير من التكاليف الإسلامية يلاحظ أنها تلتقي عند حماية النفس وحفظها وتقويتها. فمثلا الطب الحديث يهتم بالحركات الرياضية والرحلات والامتناع عن الأكل بين حين وآخر. هذا ما نجده في كثير من التكاليف الشرعية مثل الصلوات الخمس فيها حركات بين القيام والركوع والسجود والقعود واليقظة المبكرة وغيرها. وكالحج فيه رحلة إلى الأراضي المقدسة وفيه وقوف وطواف وهرولة وسعي وغيرها، وكذلك الصوم فيه امتناع عن الأكل و الشرب يفيد الجسم كثيرا ، وقد أثبت الطب الحديث هذه كلها.[٢٧]

٣- **حفظ النسل** : لاشك أن الولد زينة الحياة الدنيا ، وعنصر بقاء النوع الإنساني ، والنفس البشرية تحس مع الولد برضى و طمأنينة، وتمتلئ بالحب والجمال. والإنسان بطبعه يحب النسل ويتمناه ، والولد نعمة وأمانة يجب المحافظة عليها. فقد اهتم الإسلام بحفظ النسل بوضع التكاليف التي تضمن هذا الحفظ، وذلك بأمرين وهما :[٢٨]

(أ) **الاستعداد الحسن لوجود الولد** : إن الأسرة هي البيئة الطبيعية لحياة الطفل، والزواج هو سببه المباشر. وإن دور الزواج والأسرة في تنشئة الطفل وتكوينه مهم جدا. ولذلك نجد الإسلام يحث على الزواج مبينا أن أحد أسبابه هو إنجاب الولد. قال الرسول-صلى الله عليه وسلم- (النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني)[٢٩] وقال: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم).[٣٠] كما حث الإسلام على اختيار المرأة الصالحة المتدينة

للزواج، قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك).[٣١]

(ب) **العناية بالولد بعد ميلاده** : عندما يولد الطفل تبدأ التكاليف الإسلامية من أجل المحافظة عليه والعناية به. وهي تكاليف كثيرة موجهة إلى الوالدين، منها : أن يختار الأبوان لولدهما اسما حسنا. ورضاعة الولد وحضانته، وتربيته وتأديبه وتعليمه.[٣٢] قال الرسول– صلى الله عليه وسلم– (ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسنة) [٣٣].

٤– **حفظ المال** : إن المال عصب الحياة ، وزينة الدنيا وأساس قيمة الأفراد والأمم، وإن الحضارة والرفاهية يتبعان للمال أينما كان، وهو من أجل نعم الله تعالى على عباده يصلح دينهم ودنياهم . قال الله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)(الكهف١٨ : ٤٦) كما أن حب تملك المال غريزة نفسية وفطرة بشرية ولذلك استخلف الله الإنسان في التملك والسيادة على الأرض. وقد وضع الإسلام نظاما للحفاظ على المال، ويمكن أن نجمله في ثلاثة أمور،[٣٤] وهي:

(أ) **إباحة الأسباب المشروعة للتملك** : إن المال لا يأتي هباء لصاحبه ولابد له من سعي وكفاح. وقد شرع الله أسباب تملكه وحث الإنسان عليه ، فأوجب العمل، يقول الله تعالى: (وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)(الملك٦٧ : ١٥) وقال النبي – صلى الله عليه وسلم–(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، إن نبي الله داؤد كان يأكل من عمل يده) [٣٥]. وكذلك من أسباب التملك الوراثة والهبة والوصية وغيرها . .

(ب) **تقييد حقوق التملك** : في أحيان كثيرة يكون المال فتنة لصاحبه يدفعه إلى الفساد والغرور والإضرار بالمجتمع ، وفي هذه الحال يكون المال سببا للسوء والإفساد. ومن هنا وضع الإسلام حول التملك قيودا تحفظ صاحبه من

الانحراف والفساد. وذلك أن حقوق التملك أربعة وهي : حق الدوام وحق حرية التصرف وحق حرية امتلاك النوع وحق حرية المقدار.[٣٦]

(ج) **ربط المال بوظائفه المحدودة** :إن المال ليس غاية لذاته إذا حصل عليه المرء وقف عنده ، ولكنه وسيلة لغايات تتعلق بمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وهذه الغايات هي الوظائف. وقد عرف الشرع بها وأشار إليها ، منبا أن ينفق الإنسان من ماله على نفسه وأسرته ولا خير في مال لاينفع صاحبه. قال تعالى:(وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأعراف٧: ٣١) ومن وظائفه دفع الزكاة والصدقات ودفع الضرائب والإنفاق على الأقارب وغيرهم.

٥- **حفظ العقل** : إن العقل من أعظم النعم الإلهية على الإنسان ، وهو ميزته على سائر المخلوقات، به يفكر ويفهم ويدرك ويتصور.وعلى هداه يعرف الحق ويعلم الصواب ويصل إلى الحكمة. وقد عني الإسلام بالعقل فأعطاه قدره وأحاطه بما يوفر له القيام بوظائفه. وذلك حسبما يلي:[٣٧]

(أ) **تقدير العقل** : إن الإسلام يثق بالعقل ثقة تامة حيث وجه الدعوة إليه وخاطبه بالتكاليف، وأبرز له الأدلة الموصلة إلى الحق، وجعله موطن العقيدة وأساس الدين.[٣٨] قال تعالى: (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)(يوسف١٢: ٢) وكذلك وردت في كثير من الآيات القرآنية عبارات مثل: (لقوم يعقلون)، (لآيات لأولى الالباب)، (لأولى الأبصار) وغيرها.

(ب) **إحاطة العقل بالحرية** : إن الإسلام يهتم بصيانة حرية العقل حتى يقوم بوظائفه حسب طاقته بلا قهر له أو إجبار. فضمن له الحرية الدينية، يقول الله تعالى: (لا إكراه في الدين)(البقرة٢: ٢٥٦) كما كفل له حرية البحث والعلم في كافة الميادين، وأعطاه الحرية السياسية والمدنية وغيرها.

المحور الثاني: النزعة الإنسانية

إن من محاسن الإسلام العظيمة النزعة الإنسانية . فهذا الدين هو دين إنساني. ويجد الباحث فيه كل المبادئ والمعاني الإنسانية . والإسلام قد نقل الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة والعصبية إلى أجواء الحب والتسامح والتعاون والمساواة أمام الله وأمام القانون والقضاء . ولا يفضل فيه عرق على عرق أو فئة على فئة أو جنس على جنس أو أمة على أمة.و الناس سواسية كأسنان المشط . وهذه النزعة الإنسانية تتجلى في المبادئ والقيم والتشريعات والقوانين وفي الواقع والتطبيق لهذا الدين. ونوضح فيما يأتي :

أما النزعة الإنسانية في المبادئ: فقد أعلن الإسلام بأن الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة. قال تعالى: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (النساء٤:١) فالأصل البشري واحد و مهما تفرق الناس بعد ذلك إلى أمم وقبائل وشعوب وأجناس، فإنما هو كتفرق البيت الواحد والإخوة من أب واحد وأم واحدة. وهذا يؤدي إلى تعاونهم وتعارفهم وتلاقيهم على الخير. قال تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعاوفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(الحجرات٤٩:١٣) ولا فرق بين غني وفقير وأحمر وأسود وبين عربي وأعجمي وبين رئيس ومرؤوس، بل الكل سواء عند الله في آدميتهم وإنسانيتهم ، ولا تمايز بينهم إلا بالتقوى. وهم سواء أمام القانون.[٣٩] قال تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).(الزلزال ٩٩ : ٧-٨)

وأما النزعة الإنسانية في التشريع : فإننا نجد ذلك واضحا في كل باب من أبواب التشريع. ففي الصلاة يقف الناس جميعاً بين يدي الله تعالى، لا يخصص مكان للملك أو عظيم أو عالم أو شيخ . وفي الصوم يجوع الناس جوعا واحدا لا فرق فيه بين غني وفقير أو أمير ورعية.وفي الحج يلبس الناس لباسا واحدا، ويقفون موقفا واحدا، ويؤدون منسكا واحدا لاتمييز بين قاص ودان وبين قوي وضعيف وبين شريف ووضيع. وإذا انتقلنا إلى أحكام القانون المدني في الإسلام وجدنا الحق والعدل ودفع الظلم من المضطهدين هي السائدة فيها . وفي القانون الجنائي العقوبة واحدة اكل من يرتكبها من الناس. فمن قتل قتل ، ومن سرق عوقب، ومن اعتدى أدب، لافرق فيها بين الأمير والعامل وبين الشرقي والغربي، فالكل سواء في نظر القانون.[٤٠] (الحر بالحر والعبد

بالعبد والأنثى بالأنثى).(البقرة٢ : ١٧٨) ويبلغ الإسلام في تشريعه أعلى ذروة من النزعة الإنسانية حين يعلن وحدة العوالم كلها من إنسان وحيوان ونبات وجماد وأفلاك في سلك العبودية لله والخضوع لنواميس الكون. قال تعالى: (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)(الإسراء١٧ : ٤٤) و (وله من في السموات والأرض كل له قانتون)(الروم٣٠ : ٢٦) والمسلم يذكر هذا كل يوم في صلواته حين يقرأ في كل ركعة منها (الحمد لله رب العالمين).(الفاتحة١ : ١)

هذه هي مظاهر النزعة الإنسانية في ديننا الإسلام وفي تشريعاته. هل بقيت تلك المبادئ هكذا دون تنفيذ وتطبيق ؟ وهل كانت كلاما فقط دون عمل؟ وهل ظلت مثل ميثاق حقوق الإنسان الذي أعلنته منظمة الأمم المتحدة ؟ تمتهنه الدول الكبرى كل يوم وكل ساعة . انظروا ما يحدث الآن في فلسطين ولبنان على أيدي الصهاينة وفي العراق وأفغانستان على أيدي القوة الغاشمة ، وبدعم مباشر من أمريكا التي تتشدق بمبادئ حقوق الإنسان . أين هذه من حقوق الإنسان ؟ إنها مأسات تئن منها الإنسانية . تعالوا فلنتصفح في صفحات تاريخنا الذهبية ، كيف كانت تصرفات ومعاملات قوادنا ورءسائنا وعظمائنا ؟

بعض من المشاهد التي يتجلى فيها تسامح الإسلام

المشهد الأول: تغاضب أبو ذر – رضي الله عنه – وهو عربي من غفار، مع بلال الحبشي الأسود – رضي الله عنه – مولى أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– وكان أبو ذر وبلال صحابيين ممن آمن بالإسلام ورسوله وكانا من الأوائل. واشتد النزاع بينهما حتى قال أبو ذر لبلال في ثورة غضبه : يا ابن السوداء! فشكا بلال إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال الرسول–ص– لأبي ذر: (أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية !) فندم أبوذر وتاب حتى أنه طلب من بلال أن يطأ على وجهه مبالغة في التوبة والندم.[٤١]

المشهد الثاني: سرقت امرأة من بني مخزوم في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– وجيء بها إليه لتعاقب، فأهم ذلك قريشا وقالوا: من لنا عند رسول الله في إسقاط الحد عنها ؟ ثم جاؤوا إلى أسامة بن زيد مستشفعين. فكلمه بذلك. فغضب عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم –

غضبا شديدا. وقال لأسامة: (أتشفع في حد من حدود الله ؟) ثم قام في الناس خطيبا فقال: (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.)[٤٢]

المشهد الثالث: جاء قيس بن مطاطية – وكان منافقا– إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصعيب الرومي وبلال الحبشي–رضي الله عنهم– فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل – يعنى محمدا ص – فما بال هؤلاء ؟–يعني سلمان وصهيبا وبلالا– فقام إليه معاذ بن جبل – رضي الله عنه – فأخذ بتلابيبه. ثم أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأخبره بمقالته. فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم –مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ، ثم نودي أن الصلاة جامعة، فخطب في الناس وقال: " يأيها الناس،إن الرب واحد ، والأب واحد ، وإن الدين واحد."[٤٣]

المشهد الرابع: لما فتح رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مكة بعد نضال استمر إحدى وعشرين سنة و وقف موقف المنتصر ممن حاربوه وأخرجوه وكذبوه، ماذا فعل الرسول حينذاك ؟ هل فعل مثل الملوك والقواد الآخرين ؟ الجواب طبعا: لا.

فقام الرسول على باب الكعبة وقال:" يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم خلق من تراب، ثم تلا الآية: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(الحجرات٤٩:١٣) ثم قال: " أتظنون ماذا فاعل بكم ؟ " قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم. فقال الرسول–ص–: " ما أقول لكم إلا ما قاله أخي يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء ."[٤٤]

المشهد الخامس: لما كان عهد أبي بكر – رضي الله عنه – كان مثالا للرئيس المتواضع الذي تملأ الإنسانية قلبه ونفسه، يأتي – وهو خليفة– لبنات الحي ممن فقدن آباءهن في الحروب فيحلب لهن غنمهن. ويقول: أرجو أن لا تغيرني الخلافة عن خلق كنت أعتاده من قبل.[٤٥]

المشهد السادس: وهذا عمر – رضي الله عنه – الخليفة الثاني مثال الخليفة الغيور على الشعب البار بالضعفاء، الشديد في الحق، الناس عنده سواء، وكان يتفقد الناس في بيوتهم ومنازلهم، وقصصه معروفة ومشهورة.

رأى مرة في السوق شيخا كبيرا يسأل الصدقة، فقال له: ما أنت يا شيخ ؟ قال: أنا شيخ كبير أسأل الجزية والنفقة. وكان يهوديا من سكان المدينة. فإذا بعمر الإنساني العظيم يقول له: ما أنصفناك يا شيخ. أخذنا منك الجزية شابا ثم ضيعناك شيخا. وأخذ بيده إلى بيته ففرض له ما كان من طعامه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال يقول: افرض لهذا وأمثاله ما يغنيه ويغني عياله.[٤٦]

المشهد السابع: مشى عمر – رضي الله عنه – مرة في سكك المدينة فإذا بصبية تطيش هزالا، تقوم مرة وتقع أخرى. فقال عمر: يا حوبتها! يا بؤسها! من يعرف هذه منكم؟ فقال ابنه عبد الله: أما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: هذه إحدى بناتك! قال عمر: وأي بناتي هذه؟ قال: هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر–أي بنته–. فقال عمر: ويحك، وما صيرها إلى ما أرى؟ قال له ابنه: منعك ما عندك، فقال عمر: إنك والله ما لك عندي غير سهمك في المسلمين، وسعك أو أعجزك! هذا كتاب الله بيني وبينكم.[٤٧]

المشهد الثامن: ذات ليلة كان عمر يتفقد الناس كعادته فمر برحبة من رحاب المدينة فإذا ببيت شعر ينبعث منه أنين امرأة وعلى بابه رجل قاعد، فسلم عليه عمر وسأله من هو؟ فأجابه بأنه رجل من البادية جاء ليصيب من فضل أمير المؤمنين. فقال عمر ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال الرجل – وهو لا يدري أنه عمر أمير المؤمنين –: انطلق – رحمك الله– لحاجتك. ولا تسأل عما لا يعنيك. فألح عليه عمر يريد معرفة الأمر فأجابه: امرأة تمخض وليس عنده أحد. فعاد عمر إلى منزله وقال لإمرأته أم كلثوم بنت علي– رضي الله عنه – : هل لك في أجر ساقه الله إليك ؟ قالت : وما هو؟ فأخبرها الخبر، وأمرها أن تأخذ معها ما يحتاج إليه الوليد الجديد من ثياب، وما تحتاج إليه المرأة من دهن، وأن تأخذه معها قدرا وتضع فيه حبوبا وسمنا. فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه، حتى انتهى إلى البيت وقال لامرأته: ادخلي إلى المرأة . وجلس هو مع الرجل، وأوقد النار وطبخ ما جاء به، والرجل جالس لا يعلم من هو. وولدت المرأة فقالت زوجة عمر من داخل البيت: بشر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام. فلما سمع الأعرابي ذلك علم أنه مع أمير المؤمنين، فكأنه هابه، فأخذ يبتعد عنه وعمر يقول له: مكانك كما أنت. ثم حمل القدر و أمر زوجته أن تأخذه لتطعم المرأة . فلما أكلت ناول الرجل

القدر وقال له: كل ويحك، فإنك سهرت الليل كله. ثم خرجت زوجته، وقال للرجل: إذا كان غدا فائتنا نأمر لك بما يصلحك. فلما أصبح أتاه ، ففرض لابنه في الذرية وأعطاه.[٤٨]

هذه قطرة من بحر وغيض من فيض، وبعض من سير عظمائنا ورؤسائنا وقوادنا، وهم قد تركوا أروع أمثلة للإنسانية و السماحة والعفو والعدل والإنصاف والخلق الحسن في السلم والحرب وفي السراء والضراء حتى مع الحيوانات. وما قصة البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي منكم ببعيد.

المحور الثالث: شهادات غير المسلمين

إن الإسلام قد انبهر بمحاسنه وروائعه كثير من العلماء والمفكرين والباحثين من غير المسلمين قديما وحديثا ، واعترفوا بها من غير عي وتردد. ومنهم من هداه بحثه إلى الإسلام فأعلنوا إسلامهم. وأصبحوا كجنود مجندة للإسلام يدافعون عنه في كل المحافل والمجالات. ومنهم من لم يوفق بالهداية إلى الإسلام لكنهم قالوا عن الإسلام عن صدق وإنصاف. فاعترفوا بفضله ومحاسنه، ونحن في هذه العجالة نذكر أقوال بعض هؤلاء، وهي كما يلي:

١- **قال ليو تولستوي**(Leo Tolstoy)- الأديب الروسي الكبير- عن محمد صلى الله عليه وسلم :"لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة. ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق. وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا . ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم . وهذا عمل عظيم لايفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال."[٤٩]

٢- **قال توماس كارلايل**(Tomas Carlyle)- أحد كبار الإنجليز- في كتابه الأبطال- :"من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا لم يكن على حق، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجا منيرا طوال هذه المدة الكبيرة من الزمن لملايين كثيرة من الناس، وما الرسالة التي أداها محمد إلا الصدق والحق. وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع. ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ."[٥٠]

٣- قالت **الدكتورة زيغريد هونكه** (Zegerid Honka)- مؤلفة ألمانية ومفكرة شهيرة- في كتاباته عن الإسلام: " إن العرب لم يكونوا مجرد ناقلين ومترجمين بل إنهم بحثوا وحللوا وأضافوا وعللوا وكملوا وابتكروا وجددوا ، وقد نقلت أوربا وترجمت عن العرب والمسلمين." [٥١]

٤- قال **تيودور نولدكه** (Teodor Noldek)- مستشرق ألماني - في كتابه (حياة النبي محمد) : " إننا لكي نصدر حكما صحيحا وعادلا على محمد يجب ان لا نتأمله فقط في حياته كنبي وداع وحاكم، بل نتأمله في حياته ومعاملاته مع أتباعه وأصدقائه وفي حياته اليومية، فإن عددا لايحصى من الشواهد والأدلة الصادقة يبرز صورته بوضوح بهيج، وإنه كان يملك أنبل الخلق والإيمان برسالته في العودة بالناس إلى الدين الصحيح ينجيهم من العذاب المقيم ويمكنهم من نعيم السماء." [٥٢]

٥- **تكلم السيد توماس أرنولد**(Thomas Arnold) في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) عن انتشار الإسلام بأنه لم يتم بالسيف كما يظن، وأورد كبراهين إسلام بعض قواد الصليبيين قبل موقعة حطين وإسلام المغول وانتشار الإسلام في الملايو والفلبين وأندونيسيا .ثم قال: " فأي سيف كان يجبر هؤلاء الصليبيين العتاة وهؤلاء المغول الجبابرة على الإسلام؟ ولكن كل ما نقوله إن الذي جعلهم يسلمون هو سماحة الإسلام وعظمته." [٥٣]

٦- قال **السيد برناردشو** (George Bernard Shaw)- الفيلسوف والمفكر الاسكتلندي — في معرض حديثه عن الإشادة بفضل محمد -- صلى الله عليه وسلم - وعظمته وعبقريته :" لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته العظيمة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز على أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان."

٧- قال **السيد أندريه سرفيه** (Andrei Serve)- المستشرق الفرنسي- في كتابه (الإسلام ونفسية المسلمين) عن المرأة: "كان هذا النبي لايتحدث عن المرأة إلا في لطف وأدب، كان يجتهد دائما في تحسين حالها ورفع مستوى حياتها بعد أن كانت

تعامل معاملة المال والرقيق، وعندما جاء الرسول قلب هذه الأوضاع فحرر المرأة وأعطاها حق الإرث." ثم قال : " لقد حرر محمد المرأة العربية،ومن أراد التحقيق بعناية هذا النبي بها فليقرأ خطبته في مكة التي أوصى فيها بالنساء خيرا وليقرأ أحاديثه المختلفة." [٥٤]

٨- قال **الأستاذ شيرل** (Sheryl)- مستشرق وعميد كلية الحقوق بجامعة فيينا - في مؤتمر الحقوقيين سنة١٩٢٧م: " إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) لها، إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن – الأوربيين- أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة ...." [٥٥]

٩- قال **الدكتور كريستان سنوك هرجرونيه** (Christian Snouck Hurgronje)- مستشرق هولندي أمضى ١٧ عاما في الهند الشرقية مستشارا لحكومة هولندا و درس قضايا الإسلام بدقة -: إن المبشرين لايزالون يتوقعون انضمام كل الأديان إليهم، أما بالنسبة للإسلام فلا تتحقق أحلامهم، لأن الدين الإسلامي سيظل دينا قويا نشيطا، ذلك لأن للإسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل أطوارها، شخصية عمومية وفردية اجتماعية.." [٥٦]

١٠- قال **السيد دوزي** (Reinhart Dozy)- مستشرق هولندي معروف بعدائه للإسلام- : " لو صح ما قاله القساوسة من أن محمدا نبي منافق كذاب. فكيف نعلل انتصاره ؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى، وتتلو إحداها الأخرى ؟ وما بال انتصارهم على الشعوب لايقف عند حد ؟ وكيف لا يدل كل ذلك على معجزة الرسول ..." [٥٧]

توظيف محاسن الإسلام في مجال الدعوة الإسلامية

لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى هي من أرفع وأعلى مهام الرسل والأنبياء. وإنها كانت المهمة الأولى والأساسية لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم- . قال الله – تبارك وتعالى- : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.) (آل عمران٣: ١٦٤) كما أمر الله تعالى نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم-

بالدعوة إليه. وعلمه طرقها وأساليبها. قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)(النحل١٦: ١٢٥) (ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.) (فصلت ٤١: ٣٤) وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم- : (أدبني ربي فأحسن تأديبي).[٥٨]

فقد قام الرسول -- صلوات الله وسلامه عليه – بهذه المهمة الجليلة خير قيام. كما ربى صحابته – رضوان الله عليهم- على ذلك. فكانوا خير تلاميذ لخير معلم وأستاذ . قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- (ولكن بعثني معلما ميسراً).[٥٩] ثم تركت مهمة الدعوة والتبليغ على العلماء والدعاة. قال الرسول – صلى الله عليه وسلم-: (إن العلماء ورثة الأنبياء).[٦٠]

إن الدعوة الإسلامية لها وسائل متعددة وطرق متنوعة والتي تناسب كل عصر ومصر. فعلى الدعاة في هذا العصر – عصر العلوم والتقنيات و عصر غزو الفضاء والذرات – أن يتسلحوا بسلاح العلم والمعرفة . وأن يتخذوا كل الوسائل الحديثة المتطورة كوسائل الإعلام العصرية الحديثة من إنترنت و تلفاز وراديو واتصالات سلكية ولا سلكية لتبليغ الدعوة ونشرها بين أبناء العالم كلهم . كما يجب عليهم تبليغ محاسن الإسلام وإبرازها أمام المدعوين من غير المسلمين .

ولا شك أن العلماء والدعاة يؤدون هذه الرسالة ويقومون بها بقدر استطاعتهم وسعتهم في كل عصر ومصر كما أراد الله تعالى. ويتبعون في سبيلها جميع الوسائل اللازمة قدر المستطاع حتى الوسائل الحديثة التي تم ابتكارها في العصر الراهن. كما يستخدمون الموعظة الحسنة والحكم والأدلة والبراهين والبينات. ومن هذا القبيل بيان محاسن الإسلام وإبرازها أمام المدعوين سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين، لأن هذا العصر يعتبر عصر العلم والبرهان. كما أن الطبائع البشرية ميالة إلى ذلك. فبإبراز وبيان محاسن الإسلام وعبقرياته وميزاته وخصائصه تكون الحجج والبراهين واضحة ودامغة.وتزيد بذلك هيبة وعظمة الإسلام في أعين المدعوين والمستمعين.ولا يستطيع أحد رفض وإنكار ما يثبت لديه بالبراهين الواضحة والدلائل الدامغة . قال الله تعالى : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم

صادقين.) (البقرة ٢:١١١) وإن إبراز محاسن الإسلام وتوظيفه أنجح وسيلة وأقوى أسلوب للدعوة إلى الله تعالى.

ومن مجالات الدعوة تأليف الكتب والرسائل والكتابة في الصحف والمجلات ومواقع إنترنت وإلقاء المحاضرات والخطب في الندوات والمؤتمرات والحفلات والمناسبات الدينية والوطنية والحوار وغيرها من وسائل الدعوة ومجالاتها. فعلى العلماء والدعاة أن يستخدموا محاسن الإسلام وأن يوظفوها فيها بالحكمة والحنكة والحذر.

خاتمة

لله الحمد والشكر على أنه قد وفقني لإنجاز هذه المقالة الوجيزة. ولقد حاولت بكل إمكانياتي وبذلت جهودي المضنية لإيفاء حقه كما ينبغي. لكنني أعترف بقلة بضاعتي و قصوري همتي. والكمال لله تبارك وتعالى وحده.وأرجو من الله التوفيق والسداد. وإنه ولي التوفيق. و صلى الله على رسولنا الداعي والهادي إلى سواء السبيل وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجع و المصادر:

١- رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء ، رقم ٣٢٠٢ والترمذي في كتاب العلم، رقم ٢٥٩٣.

٢- رواه البخاري في صحيحه في كتاب الوحي ، رقم ١٦٥٤ و٦٦٦٧.

٣- رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم، رقم ٢٦٨٣.

٤- أبو زهرة: الشيخ محمد، *المجتمع الإنساني في ظل الإسلام*، (طرابلس: مكتبة الفكر، ط/٢، ١٩٧٠م) ص ١٠.

٥- الطوير: حسن مسعود، *الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة*، (بيروت: دار قتيبة، ط/١، ١٩٩٢م) ص ٥١- ٥٢.

٦- أبو زهرة: الشيخ محمد، *المجتمع الإنساني في ظل الإسلام*، ص ١٢.

٧- الغزالي: محمد ، *فقه السيرة*، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط/٢، ١٩٦٥م) ص ٢٠- ٢١.

٨- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*،(الكويت: المركز العالمي للكتاب الإسلامي، د/ط، د/ت، ص ٦٦.

٩- المرجع السابق، ص ٦٧.

١٠- الطوير: حسن مسعود، *الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة*، ص ٣١- ٣٥.

١١- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*، ص ٦٥.

١٢- الطوير: حسن مسعود، *الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة*، ص ٤٠.

١٣- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*، ص ٦٦.

١٤- بن عاشور: محمد الطاهر، *أصول النظام الاجتماعي في الإسلام*، (تونس: الشركة التونسية للنشروالتوزيع، د/ط، د/ت،) ص ٢٠.

١٥- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*، ص ٦٧.

١٦- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*،(بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ط/١، ١٩٨٧م) ص ١٩٧-٢٢٥.

١٧- الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، *الموافقات*،(القاهرة: المكتبة التجارية، ط/١) ج ٢ ، ص ١٠.

١٨- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*، ص ٣٥

١٩- المرجع السابق، ص ٤٣.

٢٠- المرجع السابق، ص ٤٥.

٢١- أبو المنذر: هشام بن محمد، الأصنام،(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م) ص ٥١

٢٢- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*، ص ٤٧.

٢٣- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، رقم ١.

٢٤- رواه الترمذي في سننه في كتاب الأدب، رقم ٢٨٢٣.

٢٥- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*، ص ٥٣.

٢٦- المرجع السابق، ص ٥٧.

٢٧- مجلة الوعي الإسلامي، رسالة الصيام، (القاهرة: عدد رمضان ١٣٨٦هـ).

٢٨- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*، ص ٦٠.

٢٩- رواه ابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ، رقم ١٨٣٦.

٣٠- رواه أحمد في مسنده ج ٢، رقم٢٤٥.

٣١- رواه البخاري في صحيحه في النكاح، رقم ٥٠٩٠ ورواه مسلم في الرضاع، رقم ٥٣.

٣٢- عبد الحميد: محمد محي الدين، *الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية*،(القاهرة: مكتبة صبيح ،١٩٦٦م) ص ٤٠٤-٤٢٠.

٣٣- رواه الترمذي في سننه في باب البر والصلة ، رقم الحديث ١٨٧٥.

٣٤- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*، ص ٦٣-٧١ .

٣٥- رواه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، رقم الحديث ٢٠٧٢.

٣٦- ابن تيمية: أبو العباس أحمد، الحسبة في الإسلام،(القاهرة: مطبعة المؤيد،ط/١ : د/ت) ص٣٤.

٣٧- غلوش: أحمد أحمد، *الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها*، ص ٧٢- ٧٣.

٣٨- الماوردي: أبوالحسن بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين،(القاهرة: المطبعة الأدبية،ط/١، ١٣١٧هـ)ص ٣.

٣٩- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*، ص ٨٦.

٤٠- المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.

٤١- رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، رقم الحديث ٢٩.

٤٢- رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، رقم الحديث ٦٢٩٠.

٤٣- رواه أحمد في مسنده رقم الحديث ٢٢٣٩١.

٤٤- رواه ابن هشام في سيرته عن محمد بن إسحق، كما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨/٨ وقال: "وعند بن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبة".

٤٥- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*، ص ٩٤.

٤٦- العقاد: عباس محمود، عبقرية عمر،(القاهرة، دار الكتب العربية،١٩٦٥م) ص ١٥.

٤٧- السباعي: د. مصطفى، *من روائع حضارتنا*، ص ٩٥.

٤٨- المرجع السابق، ص ٩٦.

٤٩- الطهطاوي: محمد عزت، في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين.(القاهرة: مكتبة دار الثرات.١٩٧٩م) ص ٣٢.

٥٠- المرجع السابق. ص ٣٣.

٥١- المرجع السابق. ص ٣٨.

٥٢- المرجع السابق. ص ٤٨.

٥٣- المرجع السابق. ص ٤٨.

٥٤- المرجع السابق. ص ٥٩.

٥٥- حمدان: نذير، *الرسول في كتابات المستشرقين*، (جدة :دار المنارة للنشروالتوزيع. ط/٢. ١٩٨٦م) ص٧٥.

٥٦- المرجع السابق . ص/٧٥-٧٦.

٥٧- المرجع السابق. ص ٤٨.

٥٨- رواه الشوكاني في الفوائد المجموعة؛ رقم الحديث ١٠٢٠ وذكر ابن تيمية في فتاواه.ج١. ص ٣٧٥ وقال: الحديث معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت.

٥٩- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق . رقم ٢٧٠٣.

٦٠- رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم. رقم ٢٦٨٣.